النظام التعليمي في جمهورية ألمانيا الاتحادية

سيدور حديثنا في هذا الجزء عن التربية ونظامها التعليمي في جمهورية ألمانيا الاتحادية.

المعلومات العامة:

*- نشأ الشعب الألماني خلال ألف سنة الماضية، من اندماج قبائل عديدة ومتنوعة، كان أهمها قبائل الفرانكيين والسكسونيين والقبائل الجرمانية، وربما أخذت ألمانيا اسمها من هذه القبائل، التي سكنت وسط أوروبا.

أستحدث مصطلح " دويتش Deutschin " أي ألماني، لأول مرة في القرن الثامن، وهذا المصطلح يشير إلى تلك اللغة، التي كان يتحدث بها في الشطر الشرقي من إمبراطورية الفرنكين، ويعني " كما يتكلم الشعب – أو لغة العامة " (عكس اللاتينية لغة العلماء والصفوة من الناس).

*- ألمانيا في قلب أوروبا، يحيط بها تسع دول أوروبية.

*- بلغ عدد سكانها حالياً نحو / 83 / مليون نسمة، منهم نحو / 10 / ملايين من الأجانب.

*- متوسط النمو السكاني نحو 0,2% سنوياً.

*- تم قيام الوحدة بين الألمانيتين(الغربية والشرقية) في 3 تشرين الأول من عام 1990، حين توحدت ألمانيا في دولة واحدة تضم ست عشرة ولاية، وكل ولاية تتمتع بسلطات سياسية ودستورية كاملة.

*- تحتل ألمانيا اليوم المرتبة الثالثة في العالم في الإنتاج الاقتصادي، والمرتبة الثانية في التجارة العالمية.

*- نصيب الفرد الواحد من الناتج القومي الإجمالي نحو 30 ألف دولار سنوياً، عام 2004.

*- هناك نحو 10% من مجموع الكتب، التي تصدر بالعالم، هي باللغة الألمانية، وتحتل اللغة الألمانية المرتبة الثالثة في العالم بعد الإنكليزية والفرنسية من ناحية الترجمة منها إلى اللغات الأخرى، أما من ناحية الترجمة من اللغات الأخرى إليها، فتحتل المرتبة الأولى في العالم.

التعليم العام في جمهورية ألمانيا الاتحادية:

تهدف السياسة التربوية الألمانية، إلى تمكين كل فرد من الحصول على التشجيع الأمثل والتعليم التأهيلي، بما يتناسب مع كفايته واهتماماته. وينبغي أن تبقى الفرصة متاحة أمام كل شخص

طوال الحياة، ليكون نفسه، شخصياً ومهنياً وسياسياً وثقافياً. ومـن الأهـداف العامـة للـسياسة التربوية التعليمية، تربية الفتيان والفتيات، بحيث يصبحون مواطنين مستقلي الشخصية، مستعدين للمشاركة في تحمل المسؤولية في النظام الديمقراطي، الذي تفخر به ألمانيا.

أسس النظام المدرسي:

تقع المسؤولية عن الجزء الرئيس في شؤون التعليم، في جمهورية ألمانيا الاتحادية، على عـاتق الولايات، وينطبق هذا بوجه خاص على، التعليم المدرسي، والتعليم المهني وتعليم الكبار ومتابعة التأهيل والتعليم العالي.

يبدأ التعليم إلزامياً بعد سن السادسة، ووفقاً لتشريعات الولايات, وحتى الثامنة عشرة من العمـر، أي لمدة 12 عاماً. ينبغي على التلاميذ خلال هذه المدة، قضاء تسع سنين دراسية بدوام كامـل (في بعض الولايات عشر سنين)، وبعد ذلك سنتين دراسيتين في المدرسة المهنية، بدوام جزئي. والتعليم مجاني في جميع المدارس الحكومية، وينص الدستور علـى أن دروس الـدين، مـادة نظامية، ولكنها غير إجبارية بالنسبة إلى التلاميذ. فعند بلوغ التلميذ سن الرابعة عشرة، يستطيع أن يقرر بنفسه ما إذا كان يريد مواصلة تلقي دروس الدين أم لا. أما المدارس الدينيـة (التـي يقوم نظامها التعليمي بكامله على مذهب ديني معين)، فقد فقدت كثيراً من أهميتهـا ومكانتهـا حالياً، لأسباب ثقافية واقتصادية معينة. وقد تبنت الآن أكثر الولايات نظام المدرسـة المـسيحية المشتركة. والمدارس المشتركة هي مدارس ينفصل فيها التلاميذ، تبعاً لمذهبهم الديني في دروس الديانة فقط.

الإدارة التربوية في جمهورية ألمانيا الاتحادية:

إن الحكومة الفدرالية الألمانية لا تشرف على التعليم أو تدبر شـؤونه، ولكنهـا تـضع بعـض المبادئ، التي يمكن أن تهتدي بها الولايات.

وتتسم إدارة التعليم الألمانية، بالمرونة والتنوع، استجابة للمطالب والحاجات المحلية، وتخـتص الولاية بوضع السياسات التعليمية العامة، تخطيط المناهج والإشراف على الامتحانـات العامـة، ومنح الشهادات وتعيين المدرسين. وتقوم السلطات الإقليمية بالإشراف على التعليم الثانوي بينما تقوم السلطات المحلية بالإشراف على المدارس الأولية – الابتدائية.

ويسمح القانون الفيدرالي، بإنشاء المدارس الخاصة، في إطار قوانين الولايات المختلفة، وتخضع هذه المدارس لإشراف الولاية وتعليماتها، وقد تحصل على إعانات مالية منها.

المدارس الخاصة، التي تقبل التلاميذ في فترة التعليم الإلزامي، يجب أن تحصل على موافقة السلطات في الولاية، وتقبل الإشراف عليها، بالإضافة إلى وجود المدارس الدينية التي تديرها المذاهب المختلفة.

وتحاول الحكومة الفيدرالية، بالتعاون مع حكومات الولايات، تطوير نماذج معينة تهدف إلى تقارب النظم التعليمية ما بين الولايات، وإقامة حد أدنى من الوحدة لا بد منه، لإقامة نظام تعليمي حديث وفعال، دون الاستغناء عن التنوع المثمر، الذي يجعل الحياة التربوية الألمانية مميزة، كما هي عليه الآن.

السلم التعليمي:

يتكون السلم التعليمي في جمهورية ألمانيا الاتحادية من:

أولاً: رياض الأطفال:

رياض الأطفال، ابتكار ألماني، اعتمدته لاحقاً بلدان كثيرة. وحتى التسمية الألمانية (كيندر غارتن - Kindergararten)، دخلت إلى اللغات الأخرى. ورياض الأطفال، ليست جزءاً من النظام المدرسي الحكومي. ويرتكز العمل التربوي فيها على تعليم اللغة وتكوين شخصية الطفل والتربية الاجتماعية واللعب.

يلتحق اليوم في رياض الأطفال نحو 90% من الأطفال بين سن الثالثة والسادسة من العمر. وتشرف الجهات الخاصة (الكنائس – الجمعيات – المعامل النقابات....) على رياض الأطفال، بالإضافة إلى الولايات والبلديات. والانتساب إلى رياض الأطفال طوعي، وغالباً ما يدفع الأهل قسطاً لقاء ذلك.

وبدءاً من عام 1996 يحق قانونياً لكل طفل يتراوح عمره ما بين ثلاثة وستة أعوام، الحصول على مكان في إحدى رياض الأطفال. وتعد التربية الاجتماعية هي النقطة الأساسية التي يركز عليها العمل التربوي في رياض الأطفال، إلى جانب التعليم. وعادة ما يذهب الأطفال إلى الروضة في فترات ما قبل الظهر فقط. لكن بعض رياض الأطفال، ومعظمها في الولايات الجديدة، تقدم رعاية اليوم الكامل.

وفي الفترة الانتقالية ما بين روضة الأطفال والمدرسة، توجد في عدة ولايات مؤسستان، هما الفصول التحضيرية للأطفال المهيئين لدخول المدرسة، ولكن لم يصلوا بعد لسن التعليم الإلزامي، أو مدارس رياض الأطفال، للأطفال الذين بلغوا السن الإلزامي، ولم يكونوا مهيئين بعد لدخول المدرسة.

ثانياً: المرحلة الابتدائية:

يخضع التعليم المدرسي بأكمله لإشراف الدولة. وتقع معظم الاختصاصات التشريعية والإدارية في مجال التعليم المدرسي في يد الولايات، وينطبق ذلك بشكل خاص على التعليم المدرسي.

يلتحق الأطفال في جمهورية ألمانيا الاتحادية، بالمرحلة الابتدائية في عمر ست سنوات. وفي غالبية الولايات الألمانية لا يحصل الأطفال خلال العامين الدراسيين الأوليين على علامات، وإنما على تقديرات عامة (ممتاز جيد وسط ...). وبعد أن يقضي الأطفال سوية أربع سنوات في المرحلة الابتدائية (تستغرق الدراسة في برلين وبراندنبورغ ست سنوات)، ينتقلون إلى شكل آخر من المدارس، حيث يقضون مرحلة توجيهية (الصفين الخامس والسادس)، يقررون خلالها مع ذويهم ومعلميهم، نوع المدرسة، التي سيتابعون تعليمهم فيها. وتتم هذه المرحلة التوجيهية في أغلب الولايات في إطار المدارس الثانوية المختلفة. وتعتبر بعض الولايات هذه المرحلة، مرحلة تعليمية مستقلة.

وبعد نهاية المرحلة الابتدائية، ينتقل التلاميذ إلى مدرسة أخرى للتعليم العام، في إطار المرحلة الثانوية الأولى.

هناك أكثر من مدرسة يتابع التلاميذ دراستهم فيها، وهذه المدارس هي:

ثالثاً: المدرسة الرئيسة: يلتحق بهذه المدرسة نحو 20% من الأطفال بعد المرحلة الابتدائية. تزود هذه المدرسة التلاميذ بأساس معرفي عام، يتضمن التثقيف السياسي والفني والتربية البدنية أيضاً.

رابعاً: المدرسة المتوسطة: وهي حلقة وسيطة بين نمطي المدرسة الرئيسة والمدرسة الثانوية العامة. مدة الدراسة في هذه المدرسة هي ست سنوات (بعد أربع سنوات في التعليم الابتدائي) من الصف الخامس إلى الصف العاشر. وينتسب عادة إلى هذا النوع من المدارس نحو ثلث التلاميذ، يقضون فيها بين ثلاث سنوات أو أربع. تهيئ هذه المدرسة الطلبة لمهام الاستقلالية وتحمل المسؤولية وروح القيادة في ميادين المهن التأهيلية...

ويحصل المتخرجون فيها على شهادة الدراسة المتوسطة، التي تؤهلهم للانتساب إلى المدارس الفنية أو المدارس الفنية العليا. وتعد هذه الشهادة مقدمة للدخول في حياة وظيفية متوسطة المستوى، في القطاع الاقتصادي والخدمة العامة، ويحصل على هذه الشهادة، ثلث التلاميذ الألمان تقريباً.

خامساً: المدرسة الثانوية العامة: (الأكاديمية – الجمنزيوم): وهي مدرسة تربوية عامة، مدة الدراسة فيها تسع سنوات (من الصف الخامس وحتى الصف الثالث عشر)، وهي المدرسة

العالية التقليدية في ألمانيا. تهدف هذه المدرسة إلى توفير تأهيل أساسي للطلبة عن طريق تقـديم الطرائق والوسائل والمناهج والمفاهيم العلمية والتخصصية، بصورة تدريجية، حتى تمكن الطلبة من الدراسة الجامعية.

وتشمل المرحلة الثانوية العليا عادة، الصفوف الدراسية من الحادي عشر إلى الثالـث عـشر (وتشمل في بعض الولايات الصفوف من العاشر إلى الثاني عشر، أو الـصفين الحـادي عـشر والثاني عشر).

وفي المرحلة الثانوية العليا يستبدل نظام الفصل الدراسي التقليدي، بنظام الـدورات الدراسـية. ويعد امتحان شهادة الثانوية العامة (البكالوريا أو ما يسمى بالألماني الأبيتور)، ختام المرحلـة الثانوية العليا. ويشمل الامتحان على الأقل على أربع مواد وعلى الأكثر علـى خمـس مـواد. وباجتياز الامتحان الشفهي والتحريري للشهادة الثانوية، يحصل الطلبة على " شهادة التأهيل العام للدراسة الجامعية " (الثانوية العامة)، ويكون ذلك في العادة بعد ثلاث عشرة سـنة دراسـية. ويزداد توجه الولايات نحو إتاحة المجال لأداء امتحان الشهادة الثانوية بعد اثنتي عـشرة سـنة دراسية.

وإلى جانب المدارس الثانوية الأكاديمية، هناك أشكال خاصة من المدارس الثانوية، منهـا علـى سبيل المثال، الثانويات الاقتصادية والثانويات الفنية... تؤهل شهادة الدراسة الثانويـة العامـة (البكالوريا) أو ما يطلق عليها بالألماني اسم « ابيتور- ABITUR » حامليها للانتـساب إلـى الجامعات والمعاهد العليا. وقد ازداد عدد خريجي المدارس الثانوية، ازدياداً كبيراً، إلى درجة أنه لم يعد هناك أماكن لقبولهم جميعاً في الاختصاصات، التي يريدونها فـي الجامعـات والمعاهـد العليا، لذلك اضطرت هيئات التعليم العالي إلى فرض نظام القبول المشروط «المسابقات».

سادساً: المدرسة الشاملة: وهي نمط آخر من المدارس، يلتحق به التلاميذ بعـد المدرسـة الابتدائية. تجمع المدرسة الشاملة، نظم ثلاث مدارس مختلفة في المرحلة الثانوية الأولى، وتمنح شهادات المدارس الرئيسة والمدارس المتوسطة، وإذا ما كان في المدرسة الشاملة مرحلة ثانوية عليا، يمكن لها أيضاً أن تمنح شهادة الثانوية العامة.

التعليم المهني:

يتجه اليوم نحو 70% من الشبان، الذين لا يحصلون على شهادة الثانوية العامة، التـي تـؤهلهم للدراسة الجامعية، إلى التعليم المهني. ويجري تدريب الأغلبية، وفق « نظام ثنـائي» أي ربـط التدريب العملي في المعمل مع التعليم النظري في المدرسة المهنية. ويستغرق التدريب العملـي

في المصنع، وحسب نوع المهنة، فترة تتراوح بين عامين وثلاثة أعوام، ويحصل المتدرب خلال فترة تدريبه على مكافآت مالية، تتزايد من عام إلى آخر.

المدارس المهنية:

إلى جانب التدريب في المعامل، يجب على المتدربين الالتحاق بالمدارس المهنية، لمـدة ثـلاث سنوات، وتلقّي الدروس فيها يوماً أو يومين في الأسبوع. وتقوم المدارس بإعطاء الدروس عـن الموضوعات التعليمية العامة، وعن المعارف الاختصاصية النظرية التي يستطيع الشباب تعلمها هنا بصورة أفضل من المعمل، ويحصل المتدرب على وثيقة تخرج، تتضمن ما تعلمه من أشياء. والالتحاق بالمدارس المهنية إلزامي لجميع الشباب الذين لم يبلغوا الثامنة عشرة مـن عمـرهم، وليسوا ملتحقين بمدرسة أخرى.

ومن المدارس التي يلتحق بها الشباب للتعليم المهني:

* - المدرسة المهنية المتخصصة: ذات الدوام اليومي الكامل، وهي تعد المتدرب لمزاولة مهنة معينة خلال سنة واحدة على الأقل.
* - المدرسة الاختصاصية العليا: وتستقبل التلاميذ من خريجي المدارس المتوسطة، وتـؤهلهم خلال سنتين دراسيتين للالتحاق بالمعاهد الفنية العليا.

سابعاً: التعليم العالي:

تشكل الجامعات والمعاهد العليا الأكاديمية المماثلة لها، العامود الأساسي، الذي يقوم عليه التعليم العالي في جمهورية ألمانيا. أما النوع الآخر من أنواع التعليم العالي، فهو المدارس الاختصاصية العليا. وهو نوع حديث العهد، ولكنه يشهد إقبالاً متزايداً، وتدرس فيه فروع الهندسة والاقتصاد، والشؤون الاجتماعية، والتصميم، والزراعة، بطريقة تعتمد اعتماداً أقوى على التطبيق العملـي. وتمنح خريجيها شهادة الدبلوم. وهناك نحو ثلث الطلبة يختارون هذا النوع من الدراسات العليا.

وهناك نظامان للدراسة في الجامعات الألمانية:

النظام الأول: مدة الدراسة فيه أربع سنوات دون الحصول على شـهادة الـدبلوم التـأهيلي ويغلب عليه الطابع العملي.

النظام الثاني: مدة الدراسة فيه خمس سنوات، يحصل المتخرج منـه علـى شـهادة دبلـوم دراسات عليا - تعادل لدينا درجة الماجستير وتسمى- DIBLOM دبلوم.

لقد فتحت جمهورية ألمانيا الاتحادية أبواب جامعاتها على مصراعيها أمام طبقات المجتمع كلها، بعدما كانت حكراً على الأثرياء في الماضي. بالإضافة إلى اهتمام الحكومة الاتحادية وحكومات الولايات، بفتح المجال أمام الأجانب للدراسة في الجامعات الألمانية. وتقوم الدولة بتشجيع هـذه الدراسة، مساهمة منها في التفاهم العالمي.والطلاب في الجامعات الألمانية، ينظمـون دراسـتهم بالشكل، الذي يرونه مناسباً.

والتعليم الجامعي في جمهورية ألمانيا الاتحادية، مجاني، وعندما لا يكـون الطلبـة أو ذووهـم قادرين على تمويل الدراسة، هناك إمكان الحصول على معونات مالية من الدولة، وفقاً لأحكـام القانون الاتحادي لتشجيع الدراسة. ويقضي الطالب الجامعي حالياً نحو عشرة فصول دراسـية، لدراسة (الهندسات والعلوم التطبيقية والعلوم الإنسانية)، أما لدراسة الطب فيقضي الطالب 12 فصلاً دراسياً. ويقسم العام الدراسي إلى فصلين دراسيين يبدأ أولهما في بدايـة شـهر نيـسان ويستمر حتى منتصف شهر تموز، والثاني يبدأ مع بداية شهر تـشرين الأول، ويـستمر حتـى منتصف شهر شباط.

الجامعات الشعبية الألمانية:

تأسست الجامعات الشعبية في نهاية القرن التاسع عشر، وهي تقدم معارف نظرية وعملية أيضاً، وتدرس مختلف العلوم، من علم الفلك ودورات تعلم اللغات، حتى التأمل على الطريقة البوذية.

وهناك نوعان من الجامعات الشعبية: الجامعات الشعبية المسائية، والجامعات الشعبية المنزليـة، التي تقيم دورات قصيرة تستغرق عدة أيام، ودورات أخرى تستمر مدة أطـول. ومنـذ بـضع سنوات تمنح هذه الجامعات، في بعض المجالات، مثل اللغات والرياضيات والعلـوم التطبيقيـة والتقنية، شهادات تخرج. وحالياً في ألمانيا نحو ألف جامعة شعبية، بالإضافة إلى عدد كبير مـن الفروع الخارجية التابعة لها.

مؤسسات البحث العلمي:

تقوم سياسة البحث العلمي في جمهورية ألمانيا الفدرالية، على حرية البحث والتعليم المنـصوص عليها في القانون الأساسي، وعلى البنية الفدرالية لألمانيا الاتحادية، وما يترتب عليها من توزيع المهمات بين الحكومة الاتحادية والولايات المحلية، وعلى الحاجة النوعية للشركات إلى البحـث العلمي. تتولى مهمة البحث العلمي في جمهورية ألمانيا الاتحادية، ثلاثة أنواع مـن المؤسـسات هي: الجامعات والمعاهد الحكومية والخاصة وأقسام البحث العلمي في الشركات. تتركز البحوث في الجامعات الألمانية على الأسس النظرية العلمية، أما في مجال البحوث التطبيقية والتطويرية، فإن الجامعات تتعاون مع معاهد علمية أخرى، ومع مختبرات الشركات الصناعية. وهذا يـشجع

على نقل المعارف النظرية إلى المجال التطبيقي بسرعة. وهناك رابطة وثيقة للغاية، بين عمل الجامعات والأكاديميات الألمانية الخمس، وهي مراكز للاتصالات العلمية، وتدعم في أكثر الأحيان مشروعات العلوم الإنسانية طويلة الأمد، كإصدار الموسوعات العلمية، على سبيل المثال. كما أن تشجيع البحوث من قبل الهيئة الألمانية للبحوث، يعد تكميلاً لا غنى للبحوث الجامعية عنه.

أنفقت الحكومة الفيدرالية وحكومة الولايات عام 2002 ما مقداره 4,9 مليار يورو في مشاريع بحثية. وهذا يعني أن الإنفاق قد زاد بنسبة 3,4% عن العام السابق عليه.

تضع الحكومة الاتحادية كل أربعة أعوام تقريراً، عن البحث العلمي على مستوى الاتحاد، يقدم للرأي العام وللبرلمان معلومات تفصيلية عن الأهداف، التي تسعى إليها سياسة تشجيع التطور والبحث العلمي، والنقاط الأساسية التي يرتكز عليها الاهتمام.

إصلاح التعليم العالي الألماني:

أقر التعديل الرابع لقانون الجامعات الألمانية في عام 1998، حيث بدأت بموجب هذا التعديل، عملية إصلاح أساسي لشؤون التعليم العالي، هدفها إتاحة المنافسة الداخلية وتشجيعها وضمان القدرة التنافسية للجامعات الألمانية على الصعيد الدولي. وذلك عن طريق التقليل من البيروقراطية ونظام الأوامر، ووضع حوافز لتشجيع الأداء والعمل. ويشكل ربط حجم التمويل بحجم الأداء وإعطاء درجات للبحث والتعليم، واعتماد نظام العلاقات في الدراسة والاختبارات، وإلزام الجامعات بإعادة توجيه الطلاب وتقديم الاستشارات لهم ومزيد من الاهتمام. ويوفر قانون التعليم العالي الجديد، الشروط اللازمة لكي تحتل الجامعات الألمانية مكانة بارزة على الصعيد الدولي، سيكون في إمكانها تقويم أداء الطلاب استناداً إلى نظام العلامات، الذي يتزايد الاعتراف به على نطاق عالمي، ومنح شهادة البكالوريوس والماجستير في الاختصاصات الجديدة.

وبذلك ستمنح الجامعات الألمانية في المستقبل شهادات ودرجات علمية معادلة للشهادات والدرجات العلمية المألوفة على نطاق عالمي.

* * * * *